الاشتقاق والبُنَى المعروفة عند علماء العربية (الكلمة، الجملة، النص، الخطاب)

السيدة أفشان قاسم*

حافظ محمد بشير**

Abstract

All languages are initially acquiring derivation in its all forms and formations to tend to contextual based multicolored meanings. Derivation comes at first to all language creator sources. It is differing from language to other language. The language, which it has been properly articulated and written in, is Arabic. There is no doubt to declare Arabic being a supreme language in this regard. All semantic and non-semantic languages have been affected by Arabic and vice versa. Derivation falls in itself in four segments; Word, Sentence, Text and Discourse. All these four Diasporas are common in all languages but they are having several differences too. For instance, Arabic has different formation of word and sentence than other languages as it is having different concept of text and discourse than almost all other languages, in particular, Indo-European languages. Along with all these differences there are many similarities too. Derivation is a wonderful classification in Arabic language. Many modern linguistics based concepts that are narrated and uttered by linguists bear no comparison with Arabic Diaspora: This paper intends to classify how Arabic Derivation seems similar to them and where it differs from them as well.

Keywords: Derivation, Pragmatics, Text, Word Formation.

التقديم:

منذ فجر القرن الثامن عشر وعلى علاته التاسع عشر ولاسيما بعد انفجار اللسانيات السويسرية ثم الانفتاحات النصية والمنتجات الخطابية الناجمة عن التراث المشترك بين الثقافات القديمة الراقية، والحضارات الحديثة العهد المتقدمة، وتنقيحها، فتهذيبها على أيدى دعاة ما بعد البنيويين أمثال التفكيكيين، والتقويضيين، والنصيين، والخطابيين– انبرت اللسانيات الحديثة، واللغويات المعاصرة مبهورة بكل الرخاء الثقافي، والعمق العلمي.فتفرعت منها نظريات أحدثت رجة كبرى بين الأوساط الأكاديمية، والمؤسسات العلمية.

*محاضرة زائرة وباحثة بمرحلة الدكتوراه، قسم اللغويات، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية،اسلام آباد.

** الأستاذ وعميد، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية،اسلام آباد.

ولعل ظهور تلك النظريات المختلفة الأشكلة يعود معظمه إلى فكرة التداخل، والتلاقح بين الاختصاصات الرائجة، والتقلبات الفكرية المسيطرة على الواقع الراهن. وعلى رأس تلك النظريات "الاشتقاق النصي الخطابي".

ولعل الأمر فى مستهله يبدو غير مألوف لدى معظم المثقفين، والقراء، ولكن تحليل منهجيته الثابتة في دراسات القدماء يثبت أنهم قد مارسوا الاشتقاق بل جعلوه نقطة فصاحة لسانهم، وبلاغة بيانهم، وأسسوا عليه بنيان اللغة التي اعتزوا بسعتها، وافتخروا برشاقتها، وابتهجوا بأناقتها. هذه السعة والرشاقة والأناقة لم تكن إلا عبارة عن عملهم الاشتقاقي، ومعالجتهم الاشتقاقية حتى لم تكن العربية محصورة في النحو التجريدي، والاشتقاقي بل طوروها على أساس تفريعها إلى استقلالية النحو من الصرف، والصرف من الاشتقاق، فقرروا للعربية ثلاثة علوم: علم النحو، وعلم الصرف، وعلم الاشتقاق.

فأثبت التراثيون منذ القدم أن "الاشتقاق" ليس إلا مصطلحا جامعا أى يحمل بين طياته مدلولات النص، والخطاب. إنهم وإن لم يصرحوا بذلك ولكن القارئ يتبين من التحليل الاشتقاقى لديهم أنهم كانوا يرون أن النص والخطاب قد تمخضا بطريقة أو أخراها من رحم الاشتقاق حتى اتفقوا جميعا على أن الاشتقاق الذى وضع أسسَها علماءُ غريب القرآن ثم البحاثة والرحالة إلى البادية ثم الذين درسوا اللغة من حيث المعنى فدرسوه منطلقين منه إلى اللفظ أمثال الأصمعى (١٢١ – ٢١٦هـ)، والأنبارى (٢٧١ – ٣٢٨هـ)، والثعالبى (٣٥٠ – ٤٢٩هـ)، وغيرهم ثم الذين درسوا اللغة من حيث اللفظ فدرسوه منطلقين منه إلى المعنى أمثال الخليل (١٠٠ – ١٧٠هـ) ومن تبعه إلى يومنا هذا... لم يعش يوما واحدا بمعزل عن الدراسات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والبلاغية، والنصية، والخطابية وما سواها.

ثمة إشكالية كبرى تبحث عن الصلات بين الاشتقاق العربى والألسنيات المعاصرة، ومدى التقارب والتشابه بينهما إضافة إلى مدى التباعد والتناكر بينهما. هناك أوجه شبه وأوجه اختلاف بين الاشتقاق العربى والاشتقاق اللسانى، لأن العربية عالجت ظاهرة الاشتقاق بصفته أحد المواصفات والخصائص التى تصف اللغة، وتميز كنهها، ثمة فئة من العلماء الذين درسوا الاشتقاق بصفته ظاهرة لسانية دونما ظاهرة عربية. أما اللسانيون المعاصرون فإنهم رأوا الاشتقاق بصفته خصيصة لغوية وظاهرة مشتركة بين بعض اللغات دون بعضها الآخر.

فالدراسة تبحث عن الدوائر المشتركة والمختلفة بين العربية وأخواتها من منظور ظاهرة "الاشتقاق" و"علم الاشتقاق"، ودوره فى بناء الكلمة، والجملة، والنص، والخطاب عبر تزامن مفاهيمها.

الاشتقاق والكلمة قديما وحديثا

الاشتقاق والجملة قديما وحديثا

الاشتقاق والنص قديما وحديثا

الاشتقاق والخطاب قديما وحديثا

ما قبل الاشتقاق:

هى الفترة التى لم يكن الاشتقاق فيها بشكله المتواجد فى الناطقين باللغات والمتعارف بين الأوساط العلمية على اختلاف أصولها ومناهجها. إنهم عالجوا القضايا العديدة المنوطة باللغات وغيرها، ودرسوا إياها عبر زناتها المتعددة المستويات. والاشتقاق لم يكن يوضع على الوجه النظرى بل إنه دُرِسَ وحُلِّلَ وطُبِّقَ من رجال النحو العربى أمثال الكسائى (١١٩ – ١٨٩هـ)، وسيبويه (١٤٨ – ١٨٠هـ)، وقطرب (ت ٢٠٦هـ)، والمازنى (ت ٢٤٧هـ/٢٤٩هـ)، والمبرد(٢١٠ – ٢٨٦هـ)، وأبى على الفارسى (٢٨٨ – ٣٧٧هـ)، وابن جنى (٣٢٢ – ٣٩٢هـ)، وابن هشام (٧٠٨ –٧٦١هـ)، وغيرهم الكثير فالكثير حتى أن ظهر اليوم كثير من المعارف التى تثبت أشكال الاشتقاق المعروفة لدى علماء العربية مثل: الاشتقاق الأصغر، والأوسط، والأكبر، والكبار وغيرها من الصورة المعادلة الأخرى من القلب والإبدال والإعلال وما إلى ذلك، ولكل صورة من هذه الصور علاقات بسيطة بالظواهر اللسانية النصانية والخطابية من آفاق منظورات لغوية وأدبية واجتماعية وثقافية. وسيتضح ذلك الأمر بجميع علائقه لاحقا.

كان الاشتقاق هو العامل الأساسى للتبادل، والتلاقح بين الكلمات، والجمل، والعبارات، والفقر، والنصوص، ثم الخطاب، لأن الغرض المبتغى إيصاله إلى المتلقى بات هدفا منشودا من الحديث مع الآخر، وهذا الأمر ما كاد أن يتم دونما إيجاد الحل الاشتقاقى التطبيقى، أخذ الاشتقاق مكانة مرموقة لارتباطه التطبيقى فى إنجاب المبنى لأداء المعنى.

وعلماء العربية قسموا المفردة (الكلمة) فى بدايتها إلى الثنائية المعروفة بـ "المهملة"، و"المستعملة"، وهذا الإهمال والاستعمال ليس عشوائيا بل كان وليد تجاوب الدلالات المتغايرة، والمتفاعلة على أساس تغاير

التداولية، وتفاعلها فى تأليف الملفوظ. ما لفظ وله معنى يُعْقَل سموه "المستعمل"، وما لفظ وله معنى ما يُعْقَل سموه "المهمل". وهذا الاستعمال والإهمال درستهما الألسنيات الحديثة تحت الظواهر الحية، والظواهر الميتة، فيعترى الكلمة ما يعترى الإنسان حيث يبقى حيا أو يموت سويا. وهكذا أمضت الكلمات دَفْنَى المعاجم حيث صارت لها مقابر، فمنها حية ومنها ميتة.

عندما عرف الإنسان أن الملفوظ (المستعمل) هو أساس الجملة تامة كانت أو ناقصة جعلها غاية فى الدرجة الثانية فقام بتفكيك الجملة وتقويضها وتحليلها واضعا فى الاعتبار الدلالاتِ المتغيرةَ بتغير صورة الجملة ونوعيتها طولا وعرضا حسب ملائمة حاجات الإنسان وموائمتها التى يحاول التعبير عنها للطرف الآخر.

والجملة بهذا المعنى لم تكن تتجاوز حدودها المغلقة سوى الثنائية المعروفة بالاسمية والفعلية حيث قسموها إلى الجملة الاسمية إن كانت مبدوءة بالاسم على اعتبار خلوها من العنصر الزمنى والفعلية إن كانت مبدوءة بالفعل على اعتبار فعالية العنصر الزمنى فى تحديد فحواها الماضى، أو الحالى، أو الاستقبالى.

طبق علماء العربية الاشتقاق بأسره على العربية قاصدين بذلك المبانى وأبعادها المختلفة، إنهم عرَّفوا الاشتقاق كوسيلة تستوضح العلاقات بين الكلمات والجمل لكونه أداة معرفة الأصل والزائد، الفعل والاسم، الأصل والنقل، وما إلى ذلك.

الاشتقاق؛ مصطلح ومفهوم:

اشتق "الاشتقاق" فى اللغة من الجذر الثلاثى (ش ق ق)، الشق مصدر قولك شققت الود شقا... واشتقاق الكلام الأخذ فيه يمينا وشمالا، واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه". [1]

وفى الاصطلاح معناه عند الشريف الجرجانى (٧٤٠—٨١٦هـ/١٣٣٩—١٤١٣م): هو "نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا، ومغايرتهما فى الصيغة". [2] ما ذكره الجرجانى هو مستخلص الارتباط النصى بين النص وتفكيك النص، لأن تفكيك الاتجاه النصى — ولم أقل: التفكيك النصى للإشارة إلى الفرق الكبير بين التركيبين حيث يدل تفكيك الاتجاه النصى على أن النص له علاقات متوازية وغير متوازية مع

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، (القاهرة: دار الحديث،، د/ط، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م)، ٥: ١٦٠

[2] على بن محمد السيد الشريف الجرجانى، **معجم التعريفات**،(القاهرة، مصر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير)،٢٦

الوحدات التى تكوِّنه، ولا يمكن استقلال النص وتحريره منها، أما التفكيك النصى فإنه ضيق الدائرة ومحدد المدلول ولا يتسع ما يتسعه الأول، ولا يقبل الاشتقاق كما يقبله الأول– يحتاج إلى الدوال الاشتقاقية.

ثبت لدى القدماء أن الاشتقاق جعل العربية لغة مطواعة، تنمو وتزيد بمد الأصول وتقليب الجذور بغية التعبير عما يدور فى مضمار الخيال. وعرف الشوكانى (١١٧٣ –١٢٥٥هـ) الاشتقاق قائلا: "أن تجد بين اللفظين تناسبا فى المعنى والتركيب، فترد أحدهما إلى الآخر". [3]

هذان التعريفان وغيرها من التعريفات الواردة عند سائر علماء العربية توحى بوجوه مشتركة بينها، مثل المناسبة فى المادة والصورة، البناء والاقتطاع، الأصل والفرع. هذه الثنائيات اللغوية تدل بلا شك على توحيد وحدات اللغة ومكوناتها. وهذه الميزة هى التى جعلت العربية متمايزة من سائر أخواتها، وهى لا توجد فى لغات أخرى على الوجه الذى توجد فى العربية. نقل السيوطى عن ابن دحية (٥٤٤ – ٦٣٣هـ) فى التنوير، قوله: "الاشتقاق من أغرب كلام العرب، وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أوتى جوامع الكلم، وهى جمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة؛ فمن ذلك قوله فيما صح عنه: "يقول الله: أنا الرحمن؛ خلقت الرحم – مصدر كالرحمة– وشققت لها من اسمى". [4]

الاشتقاق والكلمة:

لن يمكن انفصال الكلمة من الاشتقاق، لأنه من المستحيل أن تتصور الكلمة دون تشريح علاقتها بغيرها، فالعلاقة بين الكلمة وهى أخت الاشتقاق والنص هى علاقة دائرية، يتكون النص من الوحدات الصغيرة التى تمثلها الفونيمات (الصوتيمات) والمورفيمات المعجمية، والاشتقاقية، والكلمات، وهذه الوحدات بناء على العلاقات التى تشخصها عينات الكلام تخلق النص، فالدافع الأول وراء خلق الكلمة ثم الكلام ثم النص هو الاشتقاق، فالنص يعود فى أوله وآخره إلى الكلمة، والكلمة تعود فى تحييزها أولا وأخيرا إلى النص.

---

[3] محمد بن على بن محمد الشوكانى، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**،ط١، (١٤٢١-٢٠٠٠م)، تحقيق وتعليق: أبى حفص سامى بن العربى الأثرى، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن السعد – سعد بن ناصر الشثرى، (الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع)،١: ١١٧

[4] السيوطى، المزهر فى علوم اللغة، **المزهر فى علوم اللغة**، (النوع الثالث والعشرون: معرفة الاشتقاق)، شرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد جاد المولى، محمد على البجاوى، (بيروت: المكتبة العصرية، صيدا، ط١، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م)،٣٤٦

الاشتقاق والجملة:

وعند بحث العلاقة بين الكلمة وأخراها تأتى مرحلة الاقتطاع التى لا تنتهى إلا عند بناء صورة الجملة على طولها وعرضها، وهذا الطول والعرض هما مرتكزان لإيلاج الدلالة للجملة على اختلاف تمددها، وهذا الطول والعرض هما من معنيات "ما فوق الجملة العادية" (التركيبية؛ النحوية والصرفة)، أى المرحلة التى تتجاوز دوائر المعنى المعجمى ويحمل بين تضاعيفها المعانى الناجمة عن شتى سياقاتها اللغوية وغير اللغوية.

ذكر السيوطى فى كتابه المزهر: (الاشتقاق) "هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى، ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا صروفا أو هيئة؛ كضارب من ضرب، وحذر من حذر". [5]

إن الجملة لها دور كبير فى إثراء المعنى لتكونها من العناصر الثلاث الآتية: المسند والمسند إليه والإسناد، وهذا التعبير المكون من هذه النقاط الثلاث يجعل الناطق به إيصال صورة ذهنية مؤلفة من أجزاء لغوية إلى المخاطب حسب قواعد معينة وأساليب معترفة. لو حلل هذا المعنى للجملة—ولها تعريفات كثيرة—لظهرت الغاية الاشتقاقية التى تسعى إليها الجملة بأن المقصود منها لا يتم دونما الاقتران بالاشتقاق أيا كان.

الاشتقاق والنص:

النص لغة هو "الظهور" و"الارتفاع". [6] النص بمفهومه العربى هو الذى يحتمل أكثر من معنى ودلالة، وهذا المفهوم الاصطلاحى غذاه المفهوم اللغوى للنص الذى يدل على معنى الظهور والارتفاع.

أما النص بمفهومه الغربى هو النسيج من الكلمات والجمل وما بينها من العلاقات. فإن النص يتكون من الحروف والكلمات بصفته "سلسلة من ملفوظات لسانية تؤلف تعبيرا حقيقيا سواء أكان مكتوبا أم شفاهيا". [7] منطلقا من هذا المفهومين للنص – العربى والغربى يتضح أن التواصل التام يتحقق بين البشر من خلال توظيف العناصر الآتية:

---

[5] المزهر فى علوم اللغة،٣٤٦

[6] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م، مادة (نصص).

[7] عبد الغنى باره، إشكالية تأصيل الحداثة فى الخطاب النقدى العربى المعاصر، مقاربة حوارية فى الأصول المعرفية،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م

الكلمة – الشفرة المعجمية

الجملة – الشفرتان المعجميتان فأكثر

الكلام – الشفرة التامة الدلالة

النص العربى – الشفرة الكبرى الواضحة الدلالة، المتكاملة المعنى

النص الغربى – نسيج من الكلمات الصغرى والكبرى لتشكيل صورة دائرية للمعنى والدلالة.

اللغة لا تحدثها المفلوظات القاموسية والمعجمية، هذه نظرية قديمة ماتت بموت أصحابها الذين كانوا يدعون أن اللغة ينجبها المعجم ويولدها القاموس، لأن القواميس والمعاجم على أسسها المتينية لم تكن إلا مجتمعات ترعرعت فيها حيث نشأت فشبت فكبرت ثم لقحت بأخراها فأنجبت، وهذه المجتمعات ليست إلا عبارة عن الأصول التداولية اللسانية مثل: التاريخ والثقافة والبيئة والطبيعة والنفس والإنسان وغيرها. نهلت الكلمات منها فى احتكاك أنفس أشكالها وصياغة أجود صورها، يقول ابن جنى بخصوص أصل اللغات أنها جاءت من الطبيعة قائلا: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة؛ كدوى الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبى.." الخ. [8]

فلا إشكالية فى الاعتراف بدور الطبيعة فى إثراء اللغة وتنميتها. لأن صفة الثراء والنماء فى إيلاد اللغة تعنى بالاشتقاق حيث يدل ذلك على أن الألفاظ والكلمات جاء بعضها من بعضها الآخر. وإدراك هذا المقدور اللغوى البشرى النابع من الطبيعة عند ابن جنى يرجع عند عبد القاهر الجرجانى (٤٧١هـ) "إلى فلسفة دينية تتصل بقدرات الإنسان فى الكلام"، [9] كما يرجع عند أفرام نعوم تشومسكى (١٩٢٨م) إلى "نظرته العامة إلى الطبيعة الإنسانية واتصالها بالحرية الفردية". [10]

فالاشتقاق على أبسط المعنى يتوزع على ثلاث صور:

١- الاشتقاق الأصغر ٢- الاشتقاق الأوسط

٣- الاشتقاق الأكبر

---

[8] أبو الفتح عثمان بن جنى، **الخصائص**،(الرياض: مكتبة جامعة،قسم المخطوطات)،٧-١٠

[9] محمد عبد المطلب، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانى**،(لونجمان، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٥م)،٨٦

[10] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانى، ٨٦

فالأصغر هو الذى لا يتغير فيه ترتيب الحروف الأصلية، بل يبقى ذلك الترتيب العالى فى مادة مثل: كتب ويكتب وكاتب.

والأوسط هو يعنى باتفاق أكثر حروف الكلمة/المادة مثل: فلق، وفلح، الفاء واللام حرفان مشتركان فى الكلمتين، القاف والحاء حرفان مختلفان.

والأكبر هو ما لا يعنى بترتيب الحروف؛ كالتراكيب الستة فى كل جهة دلالتها على القوة، فترد مادة اللفظين فصاعدا إلى معنى واحد.

إلى هذا الحد كان الاشتقاق بفروعه الطبيعية لم يكن إلا جزءا من الكلمة/الملفوظ/المستعمل، لم يتجاوز دوائر الكلمة ولم يدخل الجملة أصلا، لكن علماء العربية الذين درسوا الاشتقاق بغض النظر عن علاقة بمنظوره التركيبى؛ الصرفى والنحوى. إنهم أرجعوه إلى استظلاله البعد الدلالى، وعالجوه بصفته ظاهرة تحمل فى ذاتها قدرة التوليد والتلقيح، وبتوليد الكلمات بعضا من بعض يوحى بتجديد الدلالات، وهذه السمة البارزة تحدد نوعية الاشتقاق فسموه بالاشتقاق الكبار، وعنوا بذلك "النحت". [11]

النحت (الاشتقاق) والنص:

ظاهرة الاشتقاق فى العربية ليست عادية بل إنها تؤثر فى تفاوت الإيحاءات لمدلولات الملفوظات، ثمة سؤال يتبادر إلى الذهن وهو ما دور الاشتقاق مطلقا فى أداء مهام اللغة؟ الإجابة عن هذا السؤال البسيط هو الذى يكتشف من خلاله المجيب عنه كثيرا من النقاط الرئيسة المؤدية إلى تقنين اللغة بالنصية.

فالنصية بالأبعاد المعروفة ليست إلى وليدة كلمة أو جملة بين كلمات وجمل، وهذه التعددية تعنى بالحوارية الباختينية التى ذكرها ميخائيل باختين(١٨٩٥ – ١٩٧٥م)، وآخرون من أتباعه.

فلا يمكن تصور خلو اللغة؛ كلمات اللغة وجملها من أخواتها. وعدم الإمكانية لهذا التصور واستحالته كلاهما يقودان إلى تزويد اللغة بصواحباتها، فكل لغة لها مرحلة طفولية، وهى مرحلة اشتقاقية صغرى بأن تنتزع كلمة من كلمة مثل كتب ويكتب من كتابة وبالعكس، ومرحلة غير طفولية وهى أن المعانى الناتجة من الكلمات لا تعنى الاقتصار على اشتقاق الكلمة من الكلمة بل إنها تعتمد على غيرها كاعتمادها على الاشتقاق،

[11] صبحى صالح، **دراسات فى فقه اللغة**، (بيروت، لبنان: دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط ٣، ٢٠٠٩م)،١٧٤

فالاشتقاق وسيلة من الوسائل التى تقوم بدور فعال فى بناء المعنى والمبنى ولكن كيان دلالتهما أو دلالاتهما يحتاج فى حملها إلى الدوافع التى تعايش الكلمة أو الجملة أو النص لإخراج الجديد إلى حيز الوجود.

فالاشتقاق من منظور طبيعته يلائم مقتضى النص ونصية النص، لأنه يسمح للكلمة بالأخذ والعطاء، وهذه الخصوصية فاعلة فى انتزاع الكلمات ونحتها وقلبها وإبدالها على أشكالها العديدة، وكل شكل من الأشكال لا تتساوى فى استعمالها بل إنها تتفاوت كتفاوت السياقات. ما يقتضيه السياق تأتى الكلمة المشتقة أو المنحوتة أو المبدلة أو المقلوبة على علاته مثل: الاشتراك لها سياق، والاشتراكية بزيادة ياء النسب والتاء لها سياق آخر، والجمال والجمالية والرمز والرمزية والحمض والحمضية وغيرها فلكل منها فائدة لا يمكن إيفاءها باستخدام غيرها. كذلك كلمة "جهل"، و"جاهل"، و"مجهول"، و"يجهل" وهلم جرا. وسائر الكلمات تقاس على مادة (ج، هـ، ل).

فالاشتقاق فى الواقع أحد مظاهر التداولية لعلاقته الكبرى بنمو اللغة وتوالد موادها وتكاثر كلماتها وتوليد كلمات جديدة للدلالة على معان مستحدثة، لأن الاشتقاق فيه صلاحية قوية للمحافظة على أساليب اللغة وتراكيبها. فالكلمات تتغير وتتبدل وتتجدد من وقت لآخر تبعا لتجدد الثقافة والبيئة والمجتمع والناطق بها والمؤثرات الأخرى كما تموت، وتندثر بمرور الزمن، وتحل محلها كلمات حديثة العهد.

ثمة سؤال ينشأ بأبسط أشكاله وهو ما الداعى إلى ذلك النص المثقل بتلك العناصر البدائية التى تجعل النص يوفر المحتوى والمضمون، ففى خصوص هذا الموضوع يرى براون وبول أن النص هو تسجيل لغوى لفعل التبليغ. [12] أى إن النص أساسا أحد مكونات لغوية، وذلك المكون اللغوى يصحب أخواته الأخرى فيصير منها نص متفاوت الدرجات ومختلف المراتب. إن لم يكن النص وراء ذلك المكون اللغوى لما جرى حدث اتصالى به.

وعرف فولفجانج دريسلر (١٩٣٩م) النص على أنه حدث تبليغى يستجيب لمعايير مترابطة وهى الاتساق والانسجام والقصدية والمقبولية والتناصية. [13] هذه العناصر لا بأس لتحديد النصانية فى حدود النص

---

[12] دومنيك مانغونو، **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، الجزائر،١٢٧

[13] نقلا عن: سعيد بحيرى، **علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات**، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط ٢، (١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، الباب الثانى: مفاهيم النص.

حيث لا يمكن أن يُتصور النص دونما إحالته إلى نصانيته ونصوصيته، فإنهما أمران ضروريان لتوليد الشفرة التى تصلح أن يطلق عليها اسم "النص" لقابليته النصية المتدفقة من مناخيره.

أما جوليا كريستيفا (١٩٤١م) فترى النص بصفته ظاهرة عبر لسانية (عبر لغوية) تعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلى وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة. [14] هذا التعريف صار الركيزة الأولى فى مجال نقد الألسنيات الحديثة لإيجاد عينة النص بما أنه لا يأتى إلا موزعا على وحدات كثيرة مترابطة الإحكام، وتلك الوحدات عند تشفيرها إلى العينات الأخرى يظهر للناظر فيها أنها قد تأتى كلمة وهى اسم أو كلمة وهى فعل أو كلمة وهى حرف، وقد تأتى مكونة من اثنين أيا كانا من هذه الثلاثية، وقد تأتى مكونة من ثلاثية هذه الثلاثية. وأخيرا تنتهى الكلمات إلى الجمل والجمل إلى الوحدات الصغرى والكبرى وهى تنتهى إلى خلق النص القصير أو الطويل.

فرق تزفيتان تودوروف (١٩٣٩) بين النص وبين الفقرات، بما هى وحدة منظمة من عدة جمل، ويقول: بإمكان أن يكون النص جملة أو أن يكون النص كتابا بأكمله (والقرآن وسائر الكتب السماوية بصفتها كلاما إلهيا مثل ظاهر)، ويرى أن النص يقوم على أساسين: الاستقلالية والعلاقة، فنظامه لا يتساوى مع نظام الجمل المكونة له.

ولديه ثلاثة مظاهر للنص:

المظهر اللفظى: وهو مؤلف من العناصر الصوتية والقاعدية التى تؤلف جمل النص.

المظهر التركيبى: وهو الذى يمكن تبينه بالرجوع إلى العلاقات التى توجد بين الوحدات النصية، أى بين الجمل، ومجموعات الجمل.

المظهر الدلالى: وهو نتاج معقد للمضمون الدلالى الذى توحى به هذه العناصر والوحدات. [15]

يُعَدُّ رولان بارث (١٩١٥ – ١٩٨٠/١٩٨٥م) ممن حددوا مفهوم النص وفسروه باتصافه نسيج كلمات متسقة فى تأليف معين... ما يدل بغض النظر عن جميع الاعتبارات غير الحقيقية.

---

[14] جوليا كريستيفا، **علم النص**، ترجمة: فؤاد الزاهى،(المغرب: دار توبقال للنشر،ط١)،١٥

[15] عدنان بن ذري ، النص والأسلوبية، سوريا ط ١،٢٠٠٠م،١٥-١٦

وعرَّف ديبوجراند النص على أنه ما هو إلا وفيه نصية معلومة، فاقترح بناء على هذا الأساس معايير للنصية واعتمدها أساسا لإيجاد النصوص واستعمالها قائلا: إن النص ما فيه حدث اتصالى تتحقق نصيته كاملة باجتماع المعايير السبعة لها، وهى: [16]

السبك ويعرف بالتماسك التركيبى

والالتحام ويعرف بالتماسك الدلالى

والقصدية

والمقبولية

ورعاية الموقف

والتناص

والإعلامية

ثمة سؤال أساسى جدا وهو ناشئ من العلاقة الجدلية بين النص (نحو النص) والجملة (نحو الجملة)، "هل هى القواعد التى تم بموجبها إنتاج النصوص، أم أنها القواعد التى يتم بموجبها الحكم على خطاب ما بأنه نص أم لا؟" [17] هذا السؤال فى ذاته إجابة عن السؤال الأول الذى صار مركزية هذه الدراسة وهى علاقة صياغة التركيب الصرفى والنحوى والدلالى والتداولى.

المستويات المشتركة بين اشتقاق الجملة واشتقاق النص:

عندما يحلل النص فيحتاج التحليل النصى إلى مستويات عديدة وهى المستويات نفسها للجملة، لأن الجملة تقوم مقام السياق اللغوى، فيسمى تحليل الجملة بالتحليل اللغوى، والنص يقوم مقام السياق غير اللغوى فيسمى تحليل النص بالتحليل النصى (السياقى غير اللغوى).

من مستويات تحليل الجملة المستوى الصوتى، والصرفى، والنحوى، والمعجمى، والدلالى، بينما من مستويات التحليل النصى المستوى الصوتى، والمعجمى، والنحوى، والدلالى (المعنوى)، والأسلوبى،

---

[16] روبرت ديبوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسان،(القاهرة: عالم الكتب، ط١،١٩٩٨م)،٨٨

[17] سانظروا: فتحى رزق الخوالدة، تحليل الخطاب الشعرى، ثنائية الاتساق والانسجام فى ديوان أحمد عشر كوكبا لمحمود درويش (رسالة جامعية؛ درجة الماجستير)، إشراف: سامح الرواشدة،(الأردن: دارالنشر جامعة مؤتة،٢٠٠٥م)،١٥-٣٥

والاجتماعى، والنفسى، والبراجماتى (التداولى). وحينما تفكك هذه المستويات كلها يتضح أن كل مستوى من هذه المستويات لها دور فعال فى القيام بالعلاقة الاشتقاقية أى علاقة الانتزاع اللفظية أو المعنوية أو الدلالية وهلم جرا. وهذا الأمر بكل صراحة يؤيد ما يقال: إن اللغة لها مقبرة وهى اللغة، واللغة لا تتجذر إلا فى اللغة. هذه المقبرة وذلك الجذر يعالجان علاقة الإنجاب والإنتاج بين الكلمتين فأكثر حتى يأتيان بهما إلى التآخى اللغوى والتآخى الدلالى والتآخى السياقى.

إن الاشتقاق والنص يجتمعان فيما يلى من العناصر:

الوحدة الصغرى

الوحدة الكبرى

الفضاء المعجمى

الفضاء الدلالى

التلقى

الإنتاجية

التقويضية

هذه العناصر كلها من الوسائل المتجمعة فى إنتاجية الوحدة الموسومة بالكلمة، والجملة، والنص (العربى والغربى)، والخطاب (العربى والغربى).

الاشتقاق والخطاب:

إن مصطلح "الخطاب" حيثما ورد فى تلافيف المعجم العربى، فهو يحمل معنى "الكلام" [18]، وفى هذا المعنى والدلالة ورد "الخطاب" مرتين فى القرآن الكريم، إذ يقول تعالى: ''وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

[18] ابن منظور، **لسان العرب**،(بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م)، مادة (خطب).

وَفَصْلَ الْخِطَابِ''[19]، وقال تعالى: ''فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ''[20] يرى الزمخشرى أن فصل الخطاب فى قوله تعالى إنما هو "البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به، لا يلتبس عليه". [21]

انطلاقا من هذا المفهوم للخطاب يمكن القول إن الخطاب هو الكلام الذى لا يحتمل التأويل، ويجتنب الغموض، والإبهام، واللبس. وهذا هو الكلام اللغوى (النحوى) الذى عرَّفه ابن عقيل قائلا: "اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"، [22] وبذلك يتساوى الخطابُ الكلامَ فى المفهوم والاصطلاح.

اهتم ميشل فوكو بالخطاب، وجعله مقصورا على الملفوظات المجردة حيث ينظر الخطاب إليها على أنها غاية فى ذاتها، ومكتفية بنفسها، ولكنه يكون محكَما بالترابط والنظام الداخلى.

فالعناصر الرئيسة التى تحقق "الخطاب" وتعطيه هوية خاصة هى الآتية:

- البنية العليا المكونة من عبارات شتى تعود أخيرا إلى ذات الموضوع الذى يغطيها من كل الجوانب وتحيل عليه.
- التركيز على الشكل ونمط التسلسل والترابط لتوليد العلاقات بين عدد من العبارات والفقر.
- الاعتناء بخلق الاتساق والتناسق والانتظام والترتيب بين العناصر الصغرى والكبرى وفق مقتضى الحال.

وهكذا لا يبقى الخطاب فى إطار حدود الجمل أو الملفوظات، بل اتسع مفهومه، وأصبح خطابا إشاريا لعمق بُناه حتى اختلف من جنس أدبى إلى آخر، فهناك الخطاب الشعرى، والخطاب النثرى، والخطاب السردى، والخطاب النقدى، وفى خارج مجال الأدب، هناك الخطاب الدينى، والخطاب السياسى، والخطاب التاريخى، وغيرها من الخطابات المتكاثرة.

---

[19] ص: ٢٠

[20] ص: ٢٣

[21] جار الله الزمخشرى، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل**،(بيروت: دار الكتاب العربى، ١٩٨٧م)،٤: ٨٠

[22] عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ومعه كتاب: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لـ محمد محى الدين،(كراتشى: قديمى كتب خانه آرام باغ)،١: ١٤

الخاتمة:

ثبت مما تقدم أن الاشتقاق ليس أمرا عاديا أو قاعدة يسيرة — إن لم تستقطب نظر اللغوى المدقق لا بأس بها — بل إنه فى واقعه المتزامن أساس البنى السطحية والبنى العميقة حيث يؤدى إلى إفادة المعانى والبلاغة فيه، فيعبر المتلقى (القارئ/ الكاتب/ السامع أو من له شيء من علاقة الإنتاجية) عما يريده من الإبلاغ من نفس المخاطب من إقناع، أو ترغيب، أو ترهيب، أو تشويق، أو تعجيب، أو إدخال سرور، أو حزن، أو غير ذلك، وكل هذه الأمور أهداف منشودة يقصد إليها من وراء صيغة الكلام، فمعرفة القواعد اللفظية؛ النحوية والصرفية، وكذلك القواعد المعنوية والدلالية لا تكفى للوصول إلى المعنى المراد بل إضافة إليها لابد من المعرفة الضرورية للعلاقة الثقافية والجماعية والفردية والنفسية... المؤثرة بين الكلمة فأكثر والأخرى، والجملة فأكثر والأخرى، والنص فأكثر وهو الخطاب فالآخر.

والذى يجمع كل ذلك بين تضاعيفه من الأدوات العربية الخالصة هو الاشتقاق الذي لم يعد يقتصر على اللفظة فحسب بل تجاوز مسلك الملفوظ فبلغ مبلغ الكلام فالنص فالخطاب. الهدف الرئيس الذى يبتغيه الكلام والنص والخطاب إنما يتم كل ذلك بصناعة الاشتقاق، ولعل ذلك من أجل دوره الهام فى أداء معطيات المبنى والمعنى إضافة إلى خلق التلاقح بينهما على المستوى اللفظى ثم الكلامى ثم النصى ثم الخطابى.

ما يحتاج الأمر إليه من الاشتقاق العربى هو أن يدرس من منظور كلامى عربى وكلامى غربى ليتآزر طرفاه ويتلاقى جانباه فيولد من الإيحاءات التى يتطلب توجهات المتلقى (غير القارئ العادى). ومن ثم يسهل على الاشتقاق أن يجتمع مع شقيقاته الواردة فى العنوان المركزى للدراسة.